📚 كنزٌ من كنوز التربية والعلم

قراءة في "شرح رياض الصالحين"

للعلامة ابن عثيمين

تزخر المكتبة الإسلامية بآلاف المصنفات التي خدمت السنّة النبوية المطهرة، ولكن قلة منها استطاعت أن تدخل كل بيت، وتلامس كل قلب. ومن بين هذه الكتب الخالدة كتاب **"رياض الصالحين "**للإمام النووي، الذي زاده الله قبولاً وانتشاراً. ولأن الجواهر تحتاج إلى من يصقلها ويبرز جمالها، جاء **شرح العلامة محمد بن صالح العثيمين** ليكون السراج المنير الذي يوضح معاني هذا الكتاب، ويقرب فوائده للأمة بأسلوب السهل الممتنع.

في هذه المقالة، نبحر في رحلة معرفية مع كتاب **"شرح رياض الصالحين "**لابن عثيمين، لنستكشف منهجه، ومميزاته، ولماذا يُعدّ واحداً من أهم الكتب التي يجب أن يقتنيها المسلم.

🌟أولاً: التعريف بالكتاب ومكانته

يعتبر كتاب "رياض الصالحين" للإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) عمدة في بابه، حيث جمع فيه مصنفه أحاديث الترغيب والترهيب، والزهد، والآداب، والأخلاق.

جاء الشيخ **ابن عثيمين** (رحمه الله) ليقوم بشرح هذا الكتاب في مجالس علمية بالمسجد الجامع بعنيزة، وتم تسجيل هذه الدروس ثم تفريغها ومراجعتها لتخرج لنا في حلة قشيبة مكونة من عدة مجلدات. هذا الشرح ليس مجرد تفكيك للألفاظ، بل هو **مدرسة تربوية وعقدية وفقهية متكاملة**.

💡ثانياً: منهج الشيخ ابن عثيمين في الشرح

تميز الشيخ ابن عثيمين بمنهج فريد يجمع بين الرصانة العلمية والبساطة في الطرح، ويمكن تلخيص منهجه في النقاط التالية:

١. **البدء بالآيات القرآنية 📖 :**
حيث يبدأ الإمام النووي كل باب بآيات من القرآن الكريم، فيقوم الشيخ ابن عثيمين بتفسير هذه الآيات تفسيراً دقيقاً، مبيناً مناسبتها لموضوع الباب، مما يربط القارئ بكتاب الله قبل سنة نبيه.

٢. **التحليل اللغوي الميسر 🗣️ :**
يقوم الشيخ بشرح المفردات الغريبة في الحديث بأسلوب واضح، بعيداً عن التعقيد اللغوي، بحيث يفهمه العامي وطالب العلم على حد سواء.

٣. **شرح المعنى الإجمالي 📝 :**
يستعرض المعنى العام للحديث، ويربط أجزاءه ببعضها، مستشهداً بأحاديث أخرى لتوضيح المعنى.

٤. **استنباط الأحكام والفوائد 💎 :**
وهذه "درة التاج" في الشرح؛ حيث يختتم الشيخ شرح كل حديث بذكر نقاط محددة تحت عنوان (من فوائد الحديث)، يستخرج فيها الدروس العقدية، والأحكام الفقهية، والآداب السلوكية.

🚀 ثالثاً: مميزات هذا الشرح عن غيره

لماذا يفضل الكثيرون شرح ابن عثيمين على غيره من الشروح؟

- **الأسلوب "الشفهي" الحي 🎙️ :**
بما أن أصل الكتاب دروس صوتية، فإنك تشعر وأنت تقرأ وكأن الشيخ يخاطبك مباشرة. الأسلوب فيه حرارة التوجيه، وروح المربي، وليس جفاف النصوص الأكاديمية.
- **العقيدة الصافية 🛡️ :**
يحرص الشيخ على تقرير عقيدة السلف الصالح، خاصة في أحاديث الصفات والغيبيات، فيشرحها بوضوح يزيل الشبهات.
- **التنزيل على الواقع 🌍 :**
لا يكتفي الشيخ بالشرح النظري، بل يضرب الأمثلة من واقع الناس المعاصر، ويعالج مشكلات اجتماعية وسلوكية يقع فيها الكثيرون اليوم.

- **الجمع بين الفقه والرقائق** ❤️ :
يتميز الشرح بأنه لا يغفل الجانب الفقهي (الحلال والحرام) في الحديث، وفي نفس الوقت يركز على إصلاح القلوب وتهذيب النفوس.

🏛️رابعاً: لمن هذا الكتاب؟

إن عظمة شرح ابن عثيمين تكمن في شمولية جمهوره، فهو مناسب لـ:

- **طالب العلم** :كمرجع فقهي وحديثي يؤسس لديه ملكة الاستنباط.
- **إمام المسجد** :كمادة خصبة للدروس والمواعظ اليومية.
- **الأسرة المسلمة** 👨‍👩‍👧‍👦 :يُقرأ في جلسات العائلة، فهو سهل العبارة، غزير الفائدة، يربي الأبناء على حب النبي ﷺ واتباع سنته.

🖌️خامساً: مقتطفات من جماليات الكتاب

عندما يتحدث الشيخ عن **"باب التوبة"**، تجده يرقق القلوب بذكر سعة رحمة الله، وعندما يشرح **"باب الصبر"**، تجده يواسي المصابين ويبث فيهم روح الأمل. وفي **"باب المراقبة"**، يؤسس لوازع ديني يغني عن مئات القوانين الوضعية.

"إن هذا الشرح ليس مجرد كتاب تقرؤه، بل هو شيخ تصحبه في رحلة إيمانية لتزكية النفس وتقويم السلوك".

🏁الخاتمة: دعوة للقراءة

إن كتاب **"شرح رياض الصالحين" للعلامة ابن عثيمين** هو بستان وارف الظلال، يجد فيه الحزين سلواه، والجاهل ضالته، والعالم بغيته. إنه يمثل المنهج الوسطي المعتدل في فهم الإسلام، تطبيقا وسلوكاً.

نصيحة لكل محب للعلم والتربية :**اجعل لهذا الكتاب نصيباً من مكتبتك ووقتك، واجعل قراءته زاداً يومياً لك ولأهل بيتك.**

🤲**رحم الله الإمام النووي، ورحم الله العلامة ابن عثيمين، وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.**

💎غوصٌ في الأعماق: جواهر ودرر من "شرح رياض الصالحين"

بعد أن تحدثنا عن الإطار العام لهذا الشرح المبارك، لا بد من الوقوف على التفاصيل التي جعلت من شرح الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) مدرسةً يتخرج فيها المربي، والفقيه، والداعية. إن هذا الكتاب ليس مجرد "شرح للكلمات"، بل هو **"صياغة للعقلية المسلمة."**

في هذه التكملة، نسلط الضوء على جوانب تطبيقية ومنهجية فريدة في الكتاب.

🔍أولاً: "لو قال قائل.." (أسلوب التعليم التفاعلي)

من يقرأ الشرح يلاحظ عبارة يكررها الشيخ كثيراً: **"فإن قال قائل "...**أو **"فإن قيل."...**
هذا الأسلوب يسمى في البلاغة "الفنقلة" (فن السؤال والجواب)، وهو يعكس عبقرية الشيخ في التدريس:

- **استثارة الذهن** 🧠 **:**لا يعطيك المعلومة جاهزة، بل يطرح إشكالاً قد يخطر ببالك، ثم يجيب عنه.
- **إزالة الشبهات :**يتوقع الشيخ الأسئلة الشائكة التي قد يطرحها المشككون أو الوساوس التي قد تقع في النفس، فيجيب عنها بجواب شافٍ كافٍ.
- **مثال :**عند شرح أحاديث القدر، يطرح الأسئلة الصعبة التي تدور في أذهان الناس، ويجيب عنها بعقيدة صافية ومنطق سليم يريح القلب.

⚖️ثانياً: الدقة الفقهية والبعد عن التعصب

رغم أن الشيخ حنبلي المذهب، إلا أنك تجده في شرح رياض الصالحين:

١. **يدور مع الدليل 📜 :**إذا صح الحديث وكان الدليل قوياً في اتجاه معين، رجحه الشيخ وإن خالف المذهب السائد، بأسلوب مؤدب يحترم العلماء.
٢. **التيسير المنضبط :**يميل الشيخ غالباً إلى التيسير على الناس ما لم يكن هناك نص صريح بالتحريم، مما يجعل الشرح مناسباً لعموم الناس وليس فقط للمتخصصين.
٣. **القواعد الفقهية :**ينثر الشيخ بين السطور قواعد فقهية ذهبية، مثل" :*المشقة تجلب التيسير*"، و "*لا واجب مع عجز*"، ويطبقها عملياً على الأحاديث.

🌺ثالثاً: لمسات تربوية (تحويل العادة إلى عبادة)

من أعظم ما في هذا الشرح هو تركيز الشيخ على **"النية."**
في شرحه لحديث "*إنما الأعمال بالنيات*"، يُبدع الشيخ في توضيح كيف يمكن للمسلم أن يحول أكله، وشربه، ونومه، وحتى مزاحه مع أهله إلى حسنات وجبال من الأجور.

🎙️**يقول الشيخ بما معناه:**
"يا أخي، استحضر النية.. إذا نمت تنوي التقوي على طاعة الله، صار نومك عبادة. إذا أكلت تنوي التقوي، صار أكلك عبادة. لا تكن كالغافل، عش حياتك كلها لله" .

هذا الربط الدائم يحول حياة القارئ اليومية إلى سلسلة متصلة من العبودية لله.

🛠️رابعاً: مقترح لمنهجية قراءة الكتاب (خطة عملية)

لكي تستفيد الاستفادة القصوى من الكتاب، لا تقرأه قراءة الجرائد، بل اتبع المنهجية التالية:

1.القراءة العائلية (المجلس المنزلي)👨‍👩‍👧‍👦 :
خصص وقتاً (ولو ١٠ دقائق) بعد العشاء أو العصر، واجتمع مع أهلك. اقرأ الحديث، ثم اقرأ شرح الشيخ المبسط له. أسلوب الشيخ السهل سيجعل الأطفال والكبار يفهمون ويستمتعون.

2.التركيز على "الفوائد✨ ":
في نهاية كل حديث، ضع خطاً تحت النقاط المرقمة التي يسردها الشيخ بعنوان (من فوائد الحديث). هذه هي الخلاصة والعصارة.

3.التدوين📝 :
اجعل بجوارك دفتراً صغيراً (صيد الفوائد)، وسجل فيه الدرر التي تستوقفك، خاصة التفسيرات الغريبة، أو القصص المؤثرة التي يوردها الشيخ.

📚خامساً: أفضل الطبعات المتوفرة

لأن الكتاب مفرغ من أشرطة صوتية، فقد اختلفت دور النشر في جودة إخراجه. ومن أفضل الطبعات التي ينصح بها العلماء وطلبة العلم:

- **طبعة مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية** :وهي الطبعة المعتمدة والأكثر دقة، حيث راجعتها اللجنة العلمية بالمؤسسة.
- **طبعة دار ابن الجوزي** :تمتاز بجودة الورق، ووضوح الخط، وجمال الإخراج الفني وتخريج الأحاديث.

🌟كلمة أخيرة: لماذا نحتاج هذا الكتاب اليوم؟

في زمن طغت فيه الماديّات، وانتشرت فيه الفوضى الفكرية، نحن بحاجة ماسة إلى:

١. **مرجعية أخلاقية** :يعيدنا إليها الإمام النووي باختياراته الموفقة.

٢. **فهم واعٍ** :يضيفه الشيخ ابن عثيمين بشرحه الذي يربط الدين بالحياة.

إن اقتناءك لكتاب **"شرح رياض الصالحين "**لابن عثيمين هو استثمار في دينك، وفي أخلاق بيتك، وفي صلاح قلبك. إنه الصديق الذي يصدقك النصيحة، والمعلم الذي لا يمل من التكرار، والواعظ الذي يرقق قلبك لذكر الله.

🤲اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعل هذا العلم حجة لنا لا علينا.
